الصحافة الإسلامية
بين العمومية والتخصص

"تجارب من الواقع"

عبداللطيف فايد

رئيس القسم الدينى بجريدة الجمهورية

تقـــديم

يشرفنى أن أقدم هذا التصور المقرون بالتجربة من خلال اشتغالى بالإعلام الإسلامى إلى مؤسسة "اقرأ الخيرية" إدراكا منى لاهتمامها بكل ماهو إسلامى وبخاصة فى مجال الإعلام والنشر وخدمة الثقافة الإسلامية لدى المساحات العريضة من المسلمين فى دول كثيرة . راجيا من وراء ذلك أن يكون هذا التصور مصباحا فى طريقها يمكنها أن تمده بالطاقة لاستمرار الضوء وتيسير عمليات السير على الطريق .

والله ولى التوفيق.

عبداللطيف فايد

القاهرة فى رمضان ١٤١٢ هجرية

مارس ١٩٩٢ ميلادية

أولا - رؤية عامة :

على قدر النشاط الكبير للإعلام الإسلامى فى كافة الوسائل التى يفيد منها هذا الإعلام فإنه يعتبر فى محنة شديدة، وينبغى لكل مهتم بهذا النشاط أن يدرك تماما الأسلوب الصحيح لبلوغ هذا الإعلام أهدافه فى التربية والتقويم، وتوجيه النشاط فى كل الأجهزة والمؤسسات والنوادى والهيئات ومجتمعات المثقفين .

وقد يكون من توفيق الله سبحانه وتعالى أن نشاط الإعلام الإسلامى دخل فى كل الوسائل، ففى الصحف نرى صفحات دينية تصدر فى يوم الجمعة من كل أسبوع، وصفحات يومية تصدر فى شهر رمضان المبارك، وبعض الصحف تصدر ملاحق خاصة للثقافة الدينية، والتليفزيون له فى هذا مجال. والراديو كذلك، إلا أنه زاد على التليفزيون بأن خصصت الإذاعات بالراديو فى عدد من الدول محطات لإذاعة القرآن الكريم بدأت بها مصر فى الستينات، ثم تبعتها دول أخرى . وهذا إلى جانب صحف أسبوعية ومجلات شهرية تتخصص فى نشر الثقافة الإسلامية .

وإذا كان هذا يحدث فى الدول الإسلامية، فإن الجاليات الإسلامية فى الدول التى لايدين معظمها بالإسلام تعنى بإصدار صحف ومجلات ونشرات تعنى بالثقافة الدينية، بهدف ربط أعضائها بالمفاهيم الدينية الإسلامية فى مجتمعات يشيع فيها الانحلال، والحرية غير المسئولة، والثقافة المتنوعة التى تعتمد على حرية التفكير دون روابط وضوابط أخلاقية أو دينية .

الإعلام الإسلامى اتسع نشاطه كذلك ليدخل الجامعات . ونرى مثلا أن جامعة الأزهر وهى جامعة إسلامية قد أنشأت بها فى أواخر السبعينات قسما بكلية اللغة العربية للصحافة والإعلام، وكليات الإعلام فى الجامعات المدنية بمصر أدخلت فى مناهج الدراسة بها مادة الإعلام الإسلامى، وأصدر أساتذتها كتبا خاصة عن الإعلام الإسلامى ابتداء من جذوره التاريخية، وحتى رؤيته العامة لحركة المجتمع وجرت على هذا المنهج جامعات فى دول إسلامية كثيرة.

بل إن احتكاك الثقافات دعا عددا من الكتاب الذين ينتمون إلى ثقافات مختلفة ومتباينة أن يكتبوا فى الإعلام الإسلامى، وفى الإسلام ذاته آراء تنفى الرؤية الإسلامية للإعلام، وفتحوا بذلك مجالات للمناقشة فى التشريع، والإفتاء، ودروس التاريخ فى المسيرة الإسلامية .

وكان من المنطقى أن ينتج هذا أثره فى السلوك العام وفى تغيير مناهجه لدى المفكرين، لأن هذا النشاط الإعلامى الإسلامى لم يحدث بهذه الكثافة فى زمن من الأزمان، وربما كان لتطور وسائل الاتصال دخل فى هذه الكثافة، لكن الفضل الأول يعود إلى تمكن الروح الإسلامية من نفوس المسلمين، ودخول أعداد من الأشخاص ذوى الثقافة الإسلامية مهما يكن قدرها من العمق والإحاطة إلى العمل فى المجالات الإعلامية الإسلامية، فى الصحف والإذاعات المسموعة والمرئية.

هذا النشاط الواسع لو قارناه بنشاط ماقبل هذه الطفرة نرى أن أثر النشاط القليل قبل هذه الطفرة كان أكثر إيجابية مما نحن فيه الآن . حيث كانت الصحف حتى منتصف الستينات لاتخصص صفحات للثقافة الدينية يوم الجمعة من كل أسبوع، ولاتصدر ملاحق خاصة، وإنما كانت هذه الثقافة عبارة عن مقالات ينشرها فى الصحف والمجلات كبار المتخصصين فى المعرفة بالدين من علماء الأزهر وغيرهم، ومنهم من اشتغل بالأدب وأصدر المجلات الأدبية، لكن النبض الإسلامى فيها كان قويا وواضحا على الرغم من محدودية المنتفعين بها، ومنهم من اشتغل بالسياسة وأصدر مجلات سياسية لكن النبض الإسلامى كان قويا فيها، وبعيدا عن الإحصاء فإننا نذكر فى هذا المجال مجلات " العروة الوثقى، ومنبر الشرق، والرسالة " .

كان من الممكن أن تكون الطفرة الجديدة ذات أثر أقوى مما هو الآن لو كانت أجهزة الإعلام قد اتخذت الإسلام منطلقا لها فى كافة ألوان نشاطها، ولو أقبل المثقفون الإسلاميون الذين يتخرجون فى الجامعات على العمل فى كل مجالات الأنشطة الإعلامية، ولقد كان من الخطأ الكبير قصر العمل لهؤلاء على مايسمى بالأقسام الدينية فى أجهزة الإعلام، فهذا من شأنه إبعاد التأثير الإسلامى فى بقية الأنشطة مثل الرياضة، والفن، والاقتصاد، والسياسة، وغيرها. لأن مهمة الإعلامى الإسلامى أن يبث روحه فى هذه الأنشطة ليكون لها من الإسلام نصيب، فتؤدى بذلك أثرا إيجابيا إسلاميا فى حركة الحياة، حتى لاتكون الرياضة تهريجا، والفن إباحية، والاقتصاد نظريات باطلة، والسياسة مصانعة بعيدة عن الهدف المطلوب فى البناء الإنسانى الحضارى .

مثلا نحن نقرأ فى الصفحات الدينية وبخاصة فى شهر رمضان المبارك مواد كثيرة منها مايتعلق بالسياسة، ومنها مايتعلق بالاقتصاد، ومنها مايتعلق بالعلاقات الإسلامية، ومنها ما يتعلق بالأخلاق والاجتماع . وكل هذا حسن، ولكن الأحسن منه أن تكون هذه المواد منشورة فى الصفحات المعدة لهذه التخصصات، إذن لتحولت هذه الصفحات إلى إسلامية مع أنها صفحات فى الاقتصاد والسياسة وغيرها .

سبب آخر يعوق عملية التنمية الإسلامية العامة يتعلق بثقافة الإعلامى المشتغل بالعمل الإسلامى فى أجهزة الإعلام، فالذى يتابع نشاطهم يرى أن الثقافة الأصيلة غير واضحة فى إنتاجهم، لأنهم ينقلون عن الآخرين ولاينتجون من ذات عقولهم، والدليل على ذلك أننا نرى أحاديث صحفية يجرونها مع شخصيات مختلفة بعضها لايتفق مع الإسلام، وكذلك فتاوى تتعارض مع المنطق الإسلامى، لأن الاجتهاد فيها لاتتوفر أسبابه، والأمثلة على ذلك كثيرة ومنها ماهو خاص بالمعاملات المصرفية وتحديد أوائل الشهور القمرية، وبخاصة شهر رمضان، وشهر

شوال . والإعلامى الإسلامى يجب أن يكون رقيبا على ذلك كله ليقدم للناس المعلومات والأحكام الصحيحة، ويحجب ماعداها؛ لأن نشر المخالفات يؤدى بالناس إلى الفتنة فى الدين، وهذا يحدث بلبة شديدة لايعرف الناس معها الأحكام الصحيحة من غيرها . فلو كان الإعلامى الإسلامى عارفا بالقرآن والسنة والفقه والتاريخ الإسلامى وعقائد الدين لاستطاع أن يؤدى دورا مهما فى تنقية المواد الإسلامية التى يقدمها للناس أو يناقشها فى حينها من خلال حديثه الصحفى أو التحقيق الذى يقوم به أو تقديم الفتوى للناس فى أمر من أمور دينهم .

هذا الجانب الثقافى للإعلامى الإسلامى يجب أن ترعاه منظمات ذات علاقة بالإعلام مثل الاتحادات والنقابات واللجان داخل المؤسسات الإعلامية . وهنا يجب التنبيه إلى أهمية تكوين اتحاد للإعلاميين الإسلاميين لايقصر نشاطه على الحفاظ على حقوقهم المادية، وإنما يضيف إلى ذلك رعاية ثقافتهم، وتنميتها، وتوجيههم إلى خوض كل المجالات فى العمل الإعلامى؛ لتتحول هذه المجالات إلى دوائر للنشاط الإعلامى الإسلامى يكمل بعضها بعضا . كذلك لابد أن يكون للإعلامى الإسلامى حافز من داخله لتنمية ثقافته فى مجالات كثيرة يؤهله لاستمرار القراءة ومتابعة الأحداث ليكون إصداره عنهما إصدارا يتطور بالقدر الواجب الذى يؤدى إلى الإقناع، ولايكون مجرد ناقل عن الآخرين مكتفيا بعرض آرائهم، أو بالوقوف محايدا تجاه الآراء المختلفة. وهذا خطأ كبير فى نشر الثقافة الإسلامية عن طريق أجهزة الإعلام .

صحيح أن عددا كبيرا من المثقفين الإسلاميين شغلوا مناصب قيادية فى أجهزة الإعلام بالصحف والمجلات والإذاعتين المسموعة والمرئية تجاوزت الأقسام الصغيرة إلى المسئوليات العامة والكبرى ومنهم خريجو كليات جامعة الأزهر وكلية دار العلوم بجامعة القاهرة وغيرهم من الكليات الأخرى الذين بنوا بأنفسهم ثقافاتهم الإسلامية، لكن أثرهم كان محدودا فى عملية البعث الإسلامى فى التفكير العام عن طريق أجهزة الإعلام . ومن مظاهر هذه المحدودية أننا نعيش عصرا يسمى بعصر اليقظة الإسلامية سواء داخل كل دولة ترتدى الرداء الإسلامى أو عدة دول يزداد فيها نشاط الأحزاب والجماعات الإسلامية . وفى رأيى أن الإعلاميين الإسلاميين قد فاتهم أو فات الكثيرين أن يكون لهم نصيب ملحوظ فى الحكم على هذه اليقظة فى أماكنها أو فى تعاونها ورباطها العام . ومثل هذا النصيب يؤدى دورا فى توجيه الحركة الإسلامية العامة، وحمايتها من الانتكاسات، والعدوان عليها من القوى غير الإسلامية. والأمثلة فى ذلك كله كثيرة ومتعددة أتجاوز الآن عن ذكرها سواء فيمن يشغلون مناصب إعلامية مهمة فى المسئوليات الإعلامية، أو فى الدول التى حفلت باليقظة الإسلامية لأن فيها وضوحا على الرغم من اختلاف الآراء حولها، وذلك ابتداء من الثورة الإسلامية فى إيران، إلى الأمر الذى آلت إليه جبهة الإنقاذ الإسلامى فى الجزائر .

والإعلام يؤدى دورا كبيرا فى توجيه الأحداث وفى تمهيد الأرض لما يقبل منها، من ذلك مثلا ماقامت به الهند قبل حربها مع باكستان لصالح انفصال البنغال "بنجلاديش" عن الدولة الإسلامية الأم، وماقامت وتقوم به إسرائيل ضد المسلمين بعامة وضد العرب منهم بخاصة لتمهيد الرأى العالمى للوقوف معها فى العدوان عليهم . وإذا مضينا فى إحصاء الأمثلة فإننا نخوض بحرا تتلاطم أمواج النفعية فيه، أو نسير فى طريق ملئ بالأشواك؛ نظرا للفرقة التى تسيطر على حكومات الدول الإسلامية، ثم لأننا نتحدث حديثا عاما، ولسنا بصدد بحث علمى مجرد يحصى ويقارن ويصدر الأحكام. ولأننا بصدد توجيه إلى عمل إسلامى فى أجهزة الإعلام .

ثانيا - تجربتان وتوضيح :

فى ضوء هذه الرؤية العامة للنشاط الإعلامى الإسلامى فإن لكاتب هذه السطور تجربتين ينبغى له أن يعرض لهما بالتوضيح بعد هذه الرؤية . إحدى التجربتين فى " جريدة الجمهورية "، وهى جريدة قومية، بجمهورية مصرالعربية، والأخرى فى مجلة " منبر الإسلام " التى يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف المصرية . والتجربتان إذا كانتا تسيران معا فى وقت واحد لأكثر من ثلاث سنوات إلا أن لكل منهما مايميزها طبقا لاختلاف تقديم العمل الصحفى فى الصحيفة اليومية عنه فى المجلة الشهرية . وإذا كانت التجربتان تسيران فى خطين متوازيين إلا أن هدفهما مشترك ليس من ناحية أن الذى يتولى المسئولية الأولى فيهما شخص واحد، وإنما لأن أساس هذا الهدف والعمل للوصول إليه يعتمدان على اليقين الإسلامى الصحيح بعيدا عن المؤثرات السياسية والاجتماعية والانحرافات عن الطريق السليم . وبعيدا أيضا عن الخضوع لها إذا كانت لاترتدى الرداء الإسلامى الصحيح، وبعيدا أيضا عن الانبهار بما يشبه الإجماع الإعلامى نحو بعض الفتاوى التى تخرج على القواعد الإسلامية العامة بحجة التجديد ومواكبة التطور .لأن أى تجديد أو تطوير لابد أن يستند إلى القواعد العامة ويرتبط بها، فأى تجديد لابد أن يسير داخل الدائرة الإسلامية ولايخرج عليها . وأى جديد يظهر فى العلاقات والمعاملات وكان يتنافى مع القواعد الإسلامية فهو مردود على القائلين به . ولنضرب لذلك مثلا :

يقال فيما يقال من التجديد والتيسير على الناس أن الفوائد فى المعاملات المصرفية حلال وليست من الربا، ويستند أصحاب هذا الرأى إلى أنها جديد فى المعاملات ولم تكن موجودة يوم نزول التشريع بحرمة الربا، وأن مصالح تقتضى ذلك لأنها طريقة عامة فى التعامل مع المصارف المحلية والعالمية .

يقولون ذلك ولا يدعون إلى قيام هذه المصارف بتعديل طريقتها فى المعاملات مع الناس، بما يتفق مع القواعد الإسلامية، فاستثمار المال بين طرفين يعتمد فى الإسلام على " المضاربة "،

والمضاربة باب من أبواب المعاملات فى الفقه الإسلامى، وليس عسيرا على المصارف أن تأخذ بنظام المضاربة فى معاملاتها مع ذوى العلاقة بها وتضع شروطا لاقتسام الأرباح . وإذا كانت المضاربة تجعل من صاحب المال خاضعا للمكسب والخسارة فإنه قد يحصل من المكسب مايغطى أية خسارة، وبهذا يستوى أو يزيد العائد الذى يحصل عليه عن الفوائد الربوية المنسوبة إلى رأس المال، وليس إلى الربح كما هو فى المضاربة، وإذا كانوا يقولون بأن الفوائد المضمونة هى المنسوبة إلى رأس المال والتى يضمنها المصرف، فإنهم بذلك يعرضون المصارف وحدها لتحمل الخسارة إذا وجدت، ويبيحون لها أن تنفرد بتقدير نسبة صاحب المال فى فائدة المال الذى يستثمر سواء فى الأعمال التجارية والصناعية والإقراض نظير فائدة محظورة فى الإسلام . وإذا كانوا يرون أن هذا يشجع المدخرين على استثمار أموالهم لدى المصارف بهذه الطريقة فإن الهدف إذن هو سحب المدخرات من المدخرين لتحريكها بأى طريقة، وليس باستثمارها إسلاميا، مما يجعل صاحب المال واقعا بالنسبة لربح ماله فى دائرة محدودة لايتجاوزها بينما تظفر المصارف بأعلى قدر من الأرباح، وهى تغدق من هذه الأرباح على جهازها الوظيفى دون تحريك النسبة المخصصة لصاحب المال، مع أن جهازها الوظيفى أغلبه جهاز محاسبى وليس جهازا استثماريا .

ولست هنا بصدد مناقشة هذه القضية لأن جانب البطلان فيها واضح، ولكن لأقول : إن بعض الصفحات الدينية تحمست تحت إغراءات الانتشار لهذه القضية، وعرضتها على الناس داخل إطارات براقة، ولم تناقشها هذه الصفحات من داخلها، بل ضيقت على من أراد مناقشتها من العلماء العارفين بالإسلام واستثمار المال معا . والذى أريد أن أقوله إن الصفحة الدينية فى جريدة الجمهورية لم تشارك فى هذا المهرجان المفتعل، وإنما ابتعدت عنه، ولأن القضية الإعلامية فى هذا الشأن ليست قضيتها فإنها عمدت إلى بيان الحكم الإسلامى شارحة معنى المضاربة الإسلامية وأهدافها وأنها فى ظل الحسابات والتقديرات الدقيقة يمكنها أن تتجنب الخسارة المحتملة، وأن ترتفع أرباحها لتعود على الطرفين بمزيد من المال عن النسبة المحددة فى المعاملات المصرفية . كذلك كان هذا الموقف هو موقف مجلة " منبر الإسلام " التى دخلت المجال الصحفى بكل ألوانه الفنية مرتبطة بهدفها الإسلامى .

ثالثا - فى جريدة الجمهورية

والتجربة فى جريدة الجمهورية وهى تقترب فى عمرها من العشرين عاما قامت بعمليات كثيرة فى عالم التنوير الإسلامى ونشر الثقافة الإسلامية مع التمكين لها من عقول قرائها الذين اتسعت دائرتهم معها .

ومن أول مايجب الإشارة إليه فى هذا السبيل أنها استقطبت القارئ إليها عن طريق الوفاء باحتياجاته فى الثقافة الدينية، فاهتمت برسائل القراء اهتماما كبيرا، وهذه الرسائل تحمل أسئلة القراء فى الأمور الدينية التى تعرض لهم، فكانت الصفحة الدينية تحسن تلقى هذه الرسائل وتجيب عنها بواسطة المتخصصين الموثوق بعلمهم من أهل الفتوى. وفى مقدمة العلماء الذين أفادت بهم فى هذا السبيل أصحاب الفضيلة أعضاء لجنة الفتوى بالأزهر الشريف، وقد كانت اللجنة تعقد اجتماعا أسبوعيا خاصا للإجابة عن أسئلة قراء جريدة الجمهورية، وإلى جانب ذلك كانت الصفحة الدينية تفيد من عدد غير قليل من العلماء الذين ترى فى علمهم تحقيقا ورؤية ذات جذور إسلامية ضاربة فى الأعماق مما يكسب الفتوى احتراما لدى القارئ .

وزيادة فى الاهتمام برسائل القراء فإن نشاط خدمتها دينيا امتد إلى العدد الأسبوعى من الجريدة، حيث خصصت له فى بادئ الأمر أربعة أعمدة كاملة تحت عنوان : " لجنة الفتوى تقول لك "، ثم تغير العنوان إلى : " الدين يقول لك " وإذا كانت مساحة هذا الباب قد أخذت فى التناقص إلى ربع هذه المساحة فإن القيادة الصحيفة فى العدد الأسبوعى عادت تدرك أهمية هذه الرسائل فخصصت لها منذ فترة صفحة شهرية كاملة إلى جانب المساحة المحدودة من كل أسبوع .

وإذا كان هذا هو مظهر اهتمام العدد الأسبوعى برسائل القراء فإن اهتمامات العدد اليومى فى صفحته المتخصصة يوم الجمعة جعل فى أول الأمر الإجابات عن رسائل القراء هى الموضوع الرئيسى فى الصفحة، بعد أن كشفت هذه الرسائل عن الاهتمامات الدينية لدى القراء فى قضايا اجتماعية كثيرة بجانب السؤال عن العبادات والمعاملات . ومن تتبع هذه الصفحة للدراسة يجد فى هذا الباب أشياء كثيرة ذات بال، مما جعل الصفحة تعتز بها اعتزازا كبيرا .

كذلك ألقت الصفحة أضواء كثيرة على قرى المشاهير من العلماء، وعلى أشخاصهم، ونشاطهم العلمى . وكانت هذه حيلة جيدة لنشر المعلومات الدينية وجعلها داخل اهتمامات القراء من خلال المؤثرات العلمية الدينية على بيئاتهم . وهذا الأسلوب تطور الآن وللعام الثالث على التوالى إلى طرح سيرة وإنجازات عدد من العلماء التاريخيين الإسلاميين فى العلوم التجريبية التى سبقوا بها علماء الحضارة المادية فى أوربا الصناعية، وكشفت كذلك عن إفادة علماء أوربا بإنجازات علماء المسلمين فى هذه المجالات التى زادوا فيها بأن كانوا علماء تجريبيين انطلاقا من علمهم بالإسلام عقيدة وشريعة، وأنه دين يدفع إلى العمل والإنتاج والابتكار مع الالتزام بقواعده فى أن يكون الإبداع العلمى فى خدمة الإنسان وليس للعدوان عليه .

نزلت الصفحة الدينية بجريدة الجمهورية إلى مجتمعات المثقفين فتابعت ندواتهم وعرضتها

وألقت الضوء عليها وبخاصة فى جوانبها الإسلامية، كذلك تابعت الصفحة النشاط الإسلامى فى الجامعات بعامة وفى جامعة الأزهر بخاصة من خلال رسائل الدراسات العليا، فعرضت أفكارها ومناقشاتها وماتوصلت إليه من جديد فى البحث العلمى . وأفادت فى ذلك بالصورة والإخراج الفنى المتطور مما تعتبر سابقة به وليست مسبوقة .

وإذا كنا نتحدث عن مجالات الثقافة الإسلامية التى ارتادتها صحيفة الجمهورية وسبقت بها فإنها اهتمت كذلك برعاية الجنور البشرية الإسلامية لها، وكذلك بالأغصان والأوراق سعيا إلى ثمار جيدة . فقد تعرض التعليم الأزهرى إلى محنة قاسية منذ صدور القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ والمسمى بقانون تطوير الأزهر، وظهرت هذه المحنة مع مرور السنوات، فما كاد يأتى عام ١٩٧٥ إلا وقد أوشك الأزهر أن يفرغ من مضامينه التى عاش عليها نحو ألف عام . تيقظت الصفحة الدينية لجريدة الجمهورية لمصير التعليم فى الأزهر الذى يغذى جميع أنحاء العالم الإسلامى بالعلماء فى التعليم والدعوة، ويستقدم أعدادا كبيرة من أبناء هذا العالم للتعلم فيه ليعودوا إلى أوطانهم الصغرى ينشرون الإسلام فيها . وانفردت الجمهورية بحملة توجيهية لنقد واقع التعليم بالأزهر وتوجيهه الوجهة الصحيحة، وقد ساهم عدد من علماء الأزهر نفسه معنا فى هذه الحملة بعد أن عجزت جهودهم عن الإصلاح داخل جدران هذا المعهد العتيق . وصحيح أن الحملة طال زمنها لأنها استغرقت عدة سنوات، لكنها نجحت فى النهاية، وقد بدت ثمارها تظهر الآن حيث اقتصر التدرج فى سلم التعليم بالأزهر على من يلتحقون به من أول السلم، مع رعاية حفظ القرآن الكريم وإعطاء علومه الأهمية الدراسية الواجبة . ومن يرجع إلى أعمال الصفحة فى هذا المجال يجد أشياء جديرة بالدراسة، فقد كانت هذه الأعمال موضوعاً من موضوعات الاهتمام فى المحافل التعليمية، وتجاوزت حدود مصر إلى غيرها من دول الوطن الإسلامى .

فى مجال الثقافة الإسلامية لم تنس الصفحة الدينية فى جريدة الجمهورية الكتاب الإسلامى، فأنشأت بابا جديدا له يحمل اسم " قراءة فى كتاب " تعرض فيه للجديد والقديم فى حركة الفكر الإسلامى، وقد كان هذا الكتاب بعيدا عن حركةالنقد، حيث أن المفكرين من نقاد الكتاب بعيدون عن التعرض للكتاب الإسلامى، إما لقصور ثقافتهم الإسلامية عن الخوض فى هذا المجال، وإما لأن اتجاهاتهم الفكرية تنحو نحو مدارس الغرب العلمانية فى عزل الدين عن الحياة . وقد كان هذا الباب ضروريا فى المواد الصحفية الإسلامية، وبخاصة وأنه يواكب حركة النمو الإسلامى فى ميدان الثقافة التى يشهد لها الآن المتخصصون فى نشر الكتاب حيث دلت إحصاءاتهم على أن الكتاب الإسلامى هو أكثر نوعيات الكتب توزيعا . وهذا التعطش للكتاب الإسلامى ينبغى أن تصاحبه عمليات نقد بناءه تزيد عوده صلابة وأوراقه خضرة وأغصانه ثمارا .

وإذا كانت الصفحة الدينية هى السابقة إلى هذا فإنها لاتزال هى الوحيدة فى هذا الميدان تقريبا .

وإذا كانت القضايا التى عرضت لها الصفحة الدينية فى جريدة الجمهورية كثيرة وهى تقدم اجتهاداتها فى وضع لبنات ضرورية فى بناء الإعلام الإسلامى، وكثرة هذه القضايا لا يتسع هذا المجال لإحصائها؛ فإننا يجب ألا يغيب عنا ونحن نقدم هذه الأمثلة القليلة رعاية الصفحة لقضية تطبيق الشريعة . هذه القضية التى أصبحت الشغل الشاغل للمسلمين فى شتى أوطانهم وأقاليمهم، ويرتبط بها تقدمهم وازدهارهم؛ حيث ينطق التاريخ بذلك فى العصور الإسلامية المزدهرة .

هذه القضية ظهرت بعد أن حمل الاستعمار عصاه ورحل عن دول العالم الإسلامى، لكنه ترك أصابعه داخل هذه الدول تلعب لعبته فى توجيه التعليم والثقافة والاقتصاد والتنمية، وهى أهم عناصر الوجه الاجتماعى لأية دولة من الدول، وكان ذلك لإبعاد المسلمين عن شريعتهم حيث يعمل تطبيقها على التمكين للإنسان من حريته وتمتعه بكل حقوقه بعيدا عن مناطق النفوذ والتكتلات الاقتصادية والسياسية التى تهدف إلى حرب الإسلام بالذات؛ لأنه من حيث هو دين ينظم السلوك فى الحياة انطلاقا من عقيدته، ويقف فى وجه كل الأطماع غير المشروعة فردية كانت أو جماعية.

والشريعة الإسلامية تواجه الدعوة إلى تطبيقها جبهتان، إحداهما : هذه الجبهة الاستعمارية من غير المسلمين وجبهة أخرى من المسلمين أنفسهم الذين صنعهم الاستعمار على يديه فى مدارسه الفكرية والتعليمية، وبخاصة وأن المجتمع الإسلامى يعانى الآن من نقص فى المواد الغذائية نتيجة ماعوده عليه الاستعمار من الخوف والقصور عن ارتياد المجالات الرحبة فى الإنتاج الغذائى، وأصبحت الدول الاستعمارية هى المورد الذى يأخذ منه هذا العالم الإسلامى احتياجاته الغذائية سواء عن طريق الشراء أو المعونات، ولايخفى أن من شروط الاستعمار فى ذلك بُعْدَ الدول الإسلامية المحتاجة إلى غذائها من الدول الاستعمارية عن تطبيق الشريعة، والاكتفاء من الشخصية الإسلامية باللافتات فقط التى لا تلبث الأحبار التى كتبت بها شعاراتها أن تذهب ألوانها بالعوامل المختلفة، ومن هنا تضيع الشريعة ضياعا كاملا من أيدى أصحابها بعد ضياعها من قلوبهم وعقولهم .

خوف الجبهات الاستعمارية من الشريعة الإسلامية أنها نظام حياة كامل، لأنها باختصار شديد تصنع للإنسانية قواعد نشاطها انطلاقا من العبادات حيث تعتمد هذه العبادات على الصلة بالله والاتجاه إليه فى سائر ألوان النشاط الإنسانى، وهذا يعطى ألوان النشاط سمة البناء البعيد عن استغلال الإنسان للإنسان، ثم هى بعد ذلك تضع قواعد المعاملات الإسلامية والنشاط

الزراعى والصناعى والتجارى، حتى أننا نجد فيها قواعد لبيع الثمار وهى على أشجارها، وقواعد لرى الأراضى، وأولويات الناس فى التمتع بحقوقهم فى المياه الجارية . كذلك تضع قواعد العلاقات الأسرية والاجتماعية والدولية ووسائل حل المنازعات بين الأفراد والدول، وتجعل للتحكيم الدور الأول عند اشتداد الخلاف بين أطراف النزاع، فإذا كان لابد من حمل السلاح والحرب فهى تفتح الطريق إلى السلام حتى مع صوت السلاح واشتعال النيران .

شريعة بهذا الشأن لابد أن يحاربها الاستعمار لأنها تقف فى وجه أطماعه، وهى تحتاج إلى عمل إعلامى كبير، لكن روافد هذا العمل الإعلامى الكبير ضرورية فى صياغة النشاط العام ولقد قامت الصفحة الدينية بجريدة الجمهورية بواجبها المتميز فى هذا السبيل، وأعانها على أدائه الفهم الواسع لأهداف الشريعة ومقاصدها، ولم يقتصر عملها فى هذا السبيل على مجرد الدعوة، وإنما استندت الدعوة إلى بيان مكونات هذه الشريعة ومقاصدها وأهدافها، وكان لها فى ذلك أعمال صحفية من التحقيق والحديث والمقال، ومتابعة الندوات والرسائل الجامعية، وعرض الجهود التاريخية، والمقارنات بين الحاضر والماضى، ثم استشراف المستقبل، كذلك تابعت عمليات تقنين الشريعة وكشفت مايراد بها من بعد عن الفقه الإسلامى هذا العملاق الأعظم فى بناء الحياة .

وهذا واجب إعلامى إسلامى يجب أن يكون محل عناية أفراده وجماعاته ووسائله.

رابعا - فى مجلة منبر الإسلام

وإذا كانت هذه بعض الخطوط العريضة لممارسة الإعلام الإسلامى من واقع مسئوليتنا فى جريدة الجمهورية، فإن حديثنا يجب أن يمتد إلى تجربتنا الثانية فى مجلة " منبر الإسلام " .

ينبغى لنا فى البداية أن نعلم أن واقع المجلات الإسلامية المتخصصة وميلها إلى الشكل القديم بقصرها على اتخاذ الأبحاث أساسا لها يجعلها معزولة عن الحركة الاجتماعية العامة للمسلمين، وهى فى هذه الحالة تكون أقرب إلى الحوليات ومجلات الجامعات والهيئات العلمية، وتكون مهمتها تزويد النخبة بدراسات وأبحاث أكاديمية، فى حين أن المجلات الإسلامية جزء من أجهزة الدعوة الإسلامية فى الدول المختلفة أو هكذا يجب أن تكون، ومن ثم فالواجب عليها أن تعمل لتقديم الإسلام إلى القارئ المتوسط والبسيط الذى يريد معرفة دينه من طريق قريب إلى عقله، وجعل تفكيره يدرك من خلال المادة التى تقدم إليه كيف أن الإسلام عقيدة وحركة اجتماعية معا . ومن هنا يجب أن تنزل إليه لترتفع به إلى تنمية ثقافته الإسلامية، وتجديد عقليته . وهذا يجعل المجلات الإسلامية أكثر انتشارا وحيوية وبعدا عن الشكل التقليدى الذى يجعلها كتابا متعدد المقالات . كذلك يجب أن تلبى احتياجات القارئ الثقافية فى الدين والأخلاق والعمل الاجتماعى .

ولقد كان هذا هو هدفنا منذ بداية تحملنا لمسئولية مجلة " منبر الإسلام " فانتقلت إلى الجديد فى الشكل وفى الموضوع، حتى أصبحت بعون الله جديرة بأن تكون نموذجا للمجلة الإسلامية مما جعل الصحف المحلية فى مصر والصحف خارجها تشيد بها، فتأخذ عنها، وتنقل عنها . بل إن هذا التطوير لفت أنظار بعض الهيئات العلمية فى الدول غير الإسلامية فأوردت تقييما لها فى دوائر المعارف التى تصدرها، وفى علمنا من ذلك حتى الآن دائرة المعارف التى تصدرها جامعة "فرجينيا" . وهذا يجعل المسئولية فى العمل الصحفى بمجلة "منبر الإسلام" أكثر أهمية، ويلقى على العمل بها أعباء جديدة حتى تظل على هذا المستوى الذى يتطور فى كل يوم . وهذا من غير شك نتاج تحميل المسئولية الأولى لصحفى متخصص له اتجاهه الإسلامى فى التفكير المعتمد على قاعدة ثقافية إسلامية تستطيع أن تؤدى واجبها فى هذا الميدان . وكلما كانت هذه القاعدة مرعية بها فى الزمان المستقبل فإن تطورها سيزداد حيوية وإشراقا . مع القدرة على إضافة الصحفيين المتخصصين إلى الجهاز التحريرى بها، وتوجيه الجهاز القديم إلى هذا الاتجاه، وكلما كان ممكنا له أن يتجاوب إلى القرب من العمل الصحفى فى مجالاته الإسلامية

وليس معنى ذلك أننا ضربنا صفحا عن الأبحاث العلمية وولينا ظهورنا لها، فقد واصلنا نشرها ولكن بأسلوب جديد يدركه القارئ المتوسط ومن هو دونه، ويشبع فى الوقت نفسه احتياجات القارئ المتخصص . ومما اتخذناه فى هذا السبيل تقديم تفسير القرآن الكريم طبقا للمنهج الموضوعى كالصدق فى القرآن، والأخلاق، والتنمية، والصبر، والعمل، والاستقامة، والتقوى، والتعاون، وغيرها، مما يجعل الناس من القراء قريبين من الهدف القرآنى فى تقديم حركة الحياة اعتقادا وسلوكا . وهذا يأتى من منطلق أن التفسير الموضوعى للقرآن الكريم هو المنهج السائد حديثا فى تقديم تفسير القرآن للناس، حتى أنه دخل إلى الدراسة فى الجامعات، وأن التفسير العام الذى يتناول القرآن من أوله إلى آخره يحتاج إلى النظرة والملكة التخصصية، ويعرض لقواعد اللغة وأساليبها، وقد يتضمن أشياء فى الفلسفة والمنطق وعلم الكلام وغيرها، مما تبعد القارئ العادى عن الفهم المطلوب منه للقرآن، كذلك تعجزه عن المتابعة والربط بين ماسبق وماهو حالى واستشراف المستقبل .

كذلك جعلنا من أسلوبنا فى تقديم القرآن الكريم للقارئ العادى العناية بالتفسير التاريخى للقرآن الكريم، الذى يربط الآيات المتفرقة فى عدد من السور والتى تتحدث عن أمر واحد اتحدت شخصياته ومقاصده . ويكتبه متخصصون فى تاريخ الحضارة الإسلامية .

وفى تقديم السنة الشريفة إلى القراء كان من هدفنا أن تسير مع القرآن الكريم فى تقويم حركة المجتمع، فكان الاختيار للأحاديث التى تقدم شرحها للقراء تواكب هدفنا من تقديم القرآن

الكريم طبقا لمنهج التفسير الموضوعى، ومن يتابع هذين النشاطين فى مجلة منبر الإسلام يجد ماتَقَرُّ به عينه، ويملأ قلبه بالأمل .

وقد كان اهتمامنا واضحا بالقصة من خلال تقديم المفاهيم الإسلامية فى السلوك الاجتماعى، نعرض لها ونقيم حولها البناء الكبير اعتمادا على الشرح وبيان الأبعاد ودورها فى التربية الاجتماعية المعتمدة على الأسس الإسلامية من السيرة النبوية ومن تاريخ الصحابة والتابعين من الرجال والنساء .

والمجلة الإسلامية حين تصدر فى بلد من البلدان الإسلامية لايمكن لها أن تنفصل عن مجتمع هذا البلد وتعالج مشكلاته سواء كانت مقصورة عليه أو شائعة فى المجتمعات الإسلامية بمختلف البلدان . وفيما يختص بالمجتمع المصرى عالجت المجلة كثيرا من المشكلات الاجتماعية مثل الأخذ بالثأر الذى لاتزال له مظاهر فى صعيد مصر، والمخدرات وتهريبها إليه، وعلاقة العبادات وبخاصة عبادة الصوم فى الإقلال من الجرائم، والتسول، والتطرف، وعلاقتهما بالاستهلاك، والفتنة الطائفية، ومناقشة المفاهيم المغلوطة عن الدين والتدين فى أحاديث هذه الفتنة التى تؤكد المظاهر الاجتماعية أنها غير موجودة وإنما تحركها شخصيات لها أهداف غير مشروعة من إحداث القلق والقلاقل فى المجتمع المصرى، وغيرها وغيرها . وقد تناولنا ذلك من خلال التحقيق الصحفى .

وإذا كانت المشكلات المحلية هدفا فى العرض والعلاج فإن المشكلات العالمية ذات بال فى العمل الصحفى الإسلامى، ومن ذلك مثلا أخطار البث التليفزيونى المباشر، والقومية الإسلامية، وتطبيق الشريعة الإسلامية، وقضايا الأقليات الإسلامية، والدور المأمول لمنظمة العواصم الإسلامية، ومنظمة المؤتمر الإسلامى، وقضية التربية الإسلامية، ومعالجة قضايا ومشكلات المجتمعات من خلال الأسلوب الإسلامى، والانتفاضة الفلسطينية فى الأرض المحتلة، ومحنة المسجد الأقصى من مؤامرات الصهيونية . وقضية قتل الصهيونى "كاهانا"، وقضية المسجد البابرى فى الهند والتآمر عليه لهدمه . وحركة الاضطهاد للمسلمين فى بلاد كثيرة مثل بلغاريا، واليونان، والفلبين . وغير ذلك كثير . وإذا كان ذلك يتم من خلال التحقيق والحديث والمتابعة الإخبارية فإننا استخدمنا الصورة فى هذا المجال، وجعلناها فى أحيان متعددة صورة الغلاف لجذب الأنظار إلى الحدث نفسه للإلمام به ليكون جزءا من الثقافة العامة للقارئ المسلم .

وبالمناسبة فإن صورة الغلاف عمل صحفى جديد فى مجلة منبر الإسلام، ونعنى بها الصورة المرتبطة بالحدث، قدمنا فى ذلك صور المؤتمرات الإسلامية العالمية من خلال متابعتنا لأعمالها، وصور مقاومة الاحتلال الصهيونى على أرض فلسطين، وصور اضطهاد المسلمين فى

بلغاريا واليونان، وصور النشاط الإسلامى فى اليونان، وصور الشخصيات الكبيرة التى تتحدث إلى قراء المجلة . ويسرنا أن نشير إلى أن أول صورة حركية تنشر على غلاف المجلة كانت صورة أسرة تتكون من الأب والأم وأربعة أبناء نصفهم من الذكور ونصفهم من الإناث يحفظون جميعا القرآن الكريم، ونالوا جوائز من الرئيس محمد حسنى مبارك فى احتفال مصر بليلة القدر عام ١٤٠٩هـ والصورة تزين غلاف عدد شهر شوال من العام نفسه .

وإذا كان القارئ هو هدفنا لفتح وجدانه على كنوز المعرفة الإسلامية وتنمية ثقافته فى حماية عقله من آثار التيارات المعاكسة للثقافة الإسلامية ومسيرة المجتمع الإسلامى، فإننا اهتممنا كثيرا برسائله من خلال بابين فى المجلة، أحدهما باب : "أنت تسأل والمفتى يجيب" والثانى باب "مع القراء" لأن رسائل القراء تعبر عن احتياجاتهم التى يجب الوفاء بها، ونستطيع أن نقول : إن باب "أنت تسأل والمفتى يجيب" استطاع أن يوفى كثيرا احتياجات القراء فى العبادات والمعاملات الإسلامية، وفى التفسير والحديث، حتى كشف فى النهاية عن رفاهية فى الأسئلة لدى كثير من القراء بعد أن وصلوا من إجابات المجلة فى المعرفة الإسلامية الضرورية إلى حالة التشبع . كذلك فإن باب "مع القراء" كشف عن مواهب كثيرة للقراء فى الكتابات الإسلامية، وهو يقدم لهم فى ذلك توجيهاته لتستقيم كتابتهم، وتنمو مواهبهم . وقد بلغ من اهتمامنا بهذين البابين أننا نخصص لهما مايزيد على خمسة وعشرين فى المائة من صفحات المجلة التى تبلغ "١٤٤ صفحة" فى أغلب أعدادها لتزيد فى أعداد قليلة لتلبية احتياجات فنية وعلمية وتاريخية فى العمل الإسلامى داخل المجلة .

ومن أجل تقديم خدمة متميزة للقراء فإننا انتقلنا فى الموضوعات التى ننشرها من مرحلة التلقى الكامل لمقالات وأبحاث الكتاب إلى مرحلة الاقتراح عليهم فى كتابة موضوعات معينة نرى ضرورة عرضها للقراء وملء الزوايا الفارغة فى حصيلتهم الثقافية الإسلامية .

وإذا كان تقديم الفهرس العام للمجلة الإسلامية فى نهاية كل سنة وفى عدد شهر ذى الحجة بالذات قد سبقتنا إليه مجلات أخرى، فإننا إذ نذكر لهم هذا السبق نذكر أيضا أننا أخذنا عنهم هذه الميزة، وأضفنا إلى فهرس الكتاب فيها فهرسا للقراء يذكر أسماءهم مع عناوين المادة التى نشرت خلال العام لكل منهم .

وكل هذا جعلنا نتجه فى تقديم المادة إلى الشكل المناسب، واستعنا فى ذلك بالإخراج الفنى المتخصص وقدمنا فيه جديدا فى الصحافة الإسلامية، واستخدمنا مع الصورة الرسم، والكاريكاتير، وتجديد شكل الغلاف مما جعل مجلة "منبر الإسلام" تحفة فنية من داخلها ومن خارجها .

ولست أدعى أن هذا جهد فرد واحد فيها، وإنما هو يعود إلى جهد واجتهاد مجموعة من المحررين والفنيين يتعاونون من أجل النهوض بها .

وليس معنى هذا أن مجلة "منبر الإسلام" قد بلغت حد الكمال الصحفى الإسلامى، أو أن العمل بها خال من المشكلات التى تعانى منها المجلات الإسلامية بوجه عام .

فالمجلات الإسلامية بصفة شاملة تصدرها حكومات أو هيئات إسلامية كجزء من نشاط الدعوة الإسلامية الذى تقوم به أجهزتها، فمثلا مجلة "منبر الإسلام" يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية . وحتى تؤدى رسالتها المنشودة لابد لها من دعم مالى يعينها حتى تكون بين يدى القارئ بسعر لايرهقه، وبالنسبة لمجلة "منبر الإسلام" فإن المجلس يدعم كل عدد فى مستوى التوزيع الحالى بستة أسباع تكاليفه ولايتحتمل القارئ إلا سُبْع التكاليف فقط . وهذا بالطبع ناتج عن عدم وجود الروافد المالية المتعددة التى تصب فى كل عمل صحفى مثل الإعلان، والمطبعة الخاصة، والتوزيع المتخصص، والأعمال التجارية الأخرى التى تلجأ إليها دور الصحف لتقدم إصداراتها إلى قرائها بسعر يناسب قدراتهم المالية ولايعجزهم عن المتابعة والإفادة .

كذلك فإن المجلات الإسلامية المتخصصة وهى تابعة لجهات حكومية تكون أجهزتها العاملة فيها من بين الموظفين الذين يتم اختيارهم من خريجى الجامعات الذين لم يمروا بالتدريب الصحفى فى المؤسسات الصحفية المتخصصة، وتحدث من وراء ذلك مشكلات بين هؤلاء عند الاستعانة بالمتخصصين من دور الصحف . وبينهم وبين الوافدين عليهم من هذه الدور . وإذا كانت هذه المشكلات وغيرها فى حاجة إلى دراسة وتشخيص فإن التصدى لها بالعلاج واجب وضرورة لاستقامة العمل الإسلامى وتطويره دون عوائق جانبية .

ذلك مع أن هذه العوائق لاتمنع مسيرة النجاح من مواصلة جهودها محققة مع الصبر والمثابرة غايات ملحوظة من النجاح .

والله من وراء القصد ، وهو المستعان .